الرجل والسلاح

قصة بقلم سليمان فياض

ـ اخفض هذا الراديو .
ـ لم ..
ـ سنعود الى مواقعنا ..
ـ ماذا تقول ؟

هب واقفا ، وأخرس صوت الراديو تماما . لكن التيار الكهربائي ظل يكمل دورته بين الحجرين في داخله . كرر :

ـ ماذا تقول ؟
ـ لا شيء .. سنعود الى مواقعنا .
ـ كيف ؟.. ماذا حدث ؟
ـ هذه هي الاوامر الجديدة .. انظر .. السماء فوقنا خالية .. ليست من طائرة تحمي مواقعنا . طائراتهم توشك ان تنتهي من مهمتها في الوادي ، وسوف يأتي الدور علينا .

قال العريف ذلك . وجلس . راح يعيد حاجياته الى كيسها : ملابسه العسكرية ، وادوات الحلاقة ، ودفتر خطابات ، وبضعة مظاريف ، وقلم حبر .. ورفع العريف راسه في نور الخيمة المفتوحة . وجه عربي افريقي شديد السمرة ، هتف في الآخر عابسا :

ـ أسرع . أمامنا ساعة ، لنرحل قبل مجيئهم .

كز صلاح على اسنانه في غضب ، وتقلص فكاه ، ورمى بالراديو الصغير على الارض في عنف . سقط الراديو على كيس ملابسه المفتوح ، فارتفع صوته فجأة :

« جاءنا من القيادة العسكرية البيان التالي » ..

قال صلاح للعريف :

ـ فليأتوا .. معنا مدافع مضادة للطائرات .. مدافع ميدان ، ومدافع دبابات . ونحن في موقع حصين .

قال العريف آمرا :

ـ اجلس واسمعني .

جلس صلاح مطيعا واحتضن ركبتيه بساعديه ، وزفر منتظرا :

قال العريف :

ـ كل مدافعنا لن تكفي .. في الجو تتحرك الطائرات بحرية اكثر منا هنا .. سيكون عددها كبيرا ايضا .. والنتيجة .. خسائر أخرى جديدة .. اليس كذلك .؟

قال صلاح :

ـ فليكن .. نقاوم حتى آخر طلقة ، وآخر رجل .. قبلنا رجال كانوا هنا منذ عشر سنوات . في هذا الموقع بالذات .. أنت تعرف .. كنت معنا والضابط يقص علينا ذلك ، قبل أيام .

ـ نعم . اعرف . وقاتلوا حتى آخر رجل ، وآخر طلقة .

ـ ثلاثة ايام . تذكر ذلك . ثلاثة ايام كاملة .
ـ أعرف . أعرف . كانوا يعطلون تقدم العدو . الآن . الموقف مختلف . العدو يسيطر على السماء كلها . الشيء المعقول الوحيد هو هذا : انقاذ ما يمكن انقاذه .

والتفت العريف حواليه :

ـ أين بقية الرجال في سريتنا . اسمع . ابحث عنهم واستدعهم ، ليعدوا حاجياتهم .

في تلك اللحظة ، دوى صوت البروجي يجمع الرجال . وترك العريف ما بيده وهب واقفا . قال لصلاح :

ـ أسرع .

وغادر العريف الخيمة يتبعه صلاح .

***

في طابور الجمع ، قيلت اوامر عديدة . وبعد الطابور بدأ الرجال في التنفيذ . كل شيء يترك هنا ، لكنه ينبغي ان يدمر . الوقود لم يصل مزيد منه بعد . والموجود لا يكفي لعودة الآلات . ستترك أولا وآخرا في الطريق ، لذلك ينبغي أن تترك هنا ، أطلالا محترقة ، وشظايا متناثرة ، كالهضاب الصخرية ، والاحجار التي تتحدى عوامل التعرية ، واصوات امواج الخليج ، وحرارة الصيف ، وبرودة الشتاء ، والظل والنور . الآلات تعني العدو الان أكثر من الرجال . وجودها معهم في العودة ، دعوة لطائرات العدو للانقضاض والتدمير ، وفتح الرشاشات أيضا . الآلات ستجلب عندئذ الموت للرجال . سيكون عليهم في الارض المكشوفة ، أن يقاتلوا عدوا لا يطال ، يقاتلوا الرعد والبرق والعاصفة والاعصار . السماء تحارب أولا ، قبل أن يزحف العدو برا وبحرا . والنتيجة .. الآلات ينبغي ان تدمر بأيدينا نحن ، لا بأيدي العدو . الآن لا مفر من ذلك . الآلات ينبغي ألا تقع سليمة في أيدي العدو . الوقت كاف لتنفيذ ذلك . لو أخذها العدو لحاربنا بها . بعضها لا يعرف العدو أسرار صنعه ، ونقاط ضعفه . الآلات يمكن تعويض الخسارة فيها ، لكن الرجال ينبغي ان يبقوا . لا يموت الرجال بدون ثمن . المال يذهب ويعود . يأتي به الانسان الذي اذا ذهب لا

يعود أبدا . لا شيء سوى ذكراه المرضية ، أو المشينة . الاسلحة الصغيرة فقط التي تحمل في الايدي ، أو على الظهور تبقى مع الجميع في طريق العودة . سيارات نقل الجنود لا تكفي الجميع ، بسبب ما سيدمر من آلات ، بينها الدبابة والعربة المصفحة ، ونصف الجنزير ، وربع الجنزير . عن طريق الجنوب ستكون مسيرة العودة . اذا حلقت الطائرات ، أرضا يكون الانبطاح ، على مسافات متباعدة . غالبا لن تجد طائراتهم مع الرجال ما يفري باصطيادهم . مهلا أيها الرجال . ليس الآن وقت الحساب . لا أحد يعرف تماما : هل كان من الافضل أن تكون طائراتنا نحن في الجو أولا ، تركب العدو ، وتطل من سمائه . لا أحد يمكنه ان يكون متأكدا من ذلك . وليس الآن وقت التفكير أو الحساب واعادة النظر . الآن وقت التصرف . رمال هذا الموقع يا صلاح مكونة من عناصر شهداء . الشعر واللحم والاظافر والعظام . ليسوا بحاجة الآن الى مزيد . المزيد ينبغي ان يكون له ثمن . لذلك فالرحيل السريع واجب وطني الآن . انقاذ ما يمكن انقاذه على وجه السرعة . كيف ؟ هذا ما سوف تراه الآن عيناك .

حسنا يا رجال . هذا قدر . فارفعوا رؤوسكم قليلا في وجهه . العالم لم ينته بعد ، ولن ينتهي أبدا طالما هناك منا رجال . الشمس ما تزال تشرق . وستشرق غدا مرة ثانية ، وثالثة ، ورابعة . سنعود نحن أو أبناؤنا أو احفادنا . رجال سيدفع بهم وادينا دائما الى هضابك وقممك وسهولك يا سيناء . آلاف السنين تمر ، وقرابين الحرية تقدم اليك لتظلي الدرع والمغفر . توشك مهمة العدو أن تنتهي وراءك يا سيناء ، وها هي الانفجارات تتسارع في « الحوالي » عالية مدوية متلاحقة . خارج الموقع ، خلف الهضاب يجري تدميرها . كل انفجار يدوي أسى وحزنا في القلب . عسى ألا يأتي العدو الآن ، قبل انجاز المهمة ، لينقذ لنفسه من بين أيدينا ما يمكن انقاذه . كل طلقة سيجدها وراءنا هنا ، سيوجهها الينا بعد ذلك . أين ؟ من يعرف أين ؟ ومن يعرف ماذا تحمله الايام مع خطا العدو يا سيناء عزيزة علينا حياتك أيتها الآلات . بأيدينا نقتلك والقلب ينز دموعا لا ترى . تستسلمين لايدينا في صمت ، وتنفجر حياتك في أيدينا أطلالا وشظايا .

***

معا وقفا على الهضبة : العريف حسن ، وصلاح . طويت الخيام ، وحملت الاسلحة الصغيرة مع المهمات في الايدي ، وعلى الظهور ، وفي قلب السيارات . تدور العربات ، وتنعطف من وراء الهضبة ، وتخرج الى طريق سهلي ساحلي طويل ، يتلوى بين الكثبان . يبدو من بعيد جدولا متعرجا تلمع صفحة ما فيه من مياه . أيتها الايام ، لا كنت ، ولا كنا . دموعا يبكي القلب لا دما . دمائي نزفت وراء هذه الهضاب مع الحرائق في الآلات . قال العريف ، وهو يسوي حزام كيسه على ظهره :

ـ هيا بنا ..

ـ تنهد صلاح :

ـ هيا بنا .

حاول العريف ان يبتسم ، وأن يقول بغير وجه مكفهر ، ولا صوت حزين :

ـ لا تحزن هكذا . سنعود مرة اخرى .

لم يقل صلاح شيئا . فكر فقط : الكل يعود هنا : النسور ، والنجوم ، والاشرطة : الاربعة ، والثلاثة ، والاثنان والواحد ، والقاعدة كلها تعود .. الكل يعود هنا . ترى كيف تعود هناك الكتائب الاخرى . الآلات ، والرجال . ؟ .. أخرج الراديو من جيبك ، واسمع يا رجل .. لا .. ليس من جديد غير ما يحزن القلب ، ورحلة العودة . أوه .. العودة الحزينة بلا حصاد ، بل بالخسائر أيها الرجال . مغافرنا ودروعنا بقيت هنا وراءنا في الهضاب :

ـ اركب اذا كنت متعبا .

ـ لا . اركب أنت .

ـ أنا ؟ لا . أريد ان يقتلني التعب .

قال العريف ذلك . قال صلاح :

ـ كنت خائفا قبل أن تبدأ هذه الحرب .

لم يلتفت نحوه العريف ، ولم يقل شيئا . كان متجهم الوجه . يزيد تجهمه من سمرة وجهه ، وقسوة ملامحه . اكمل صلاح :

ـ مضت فترة طويلة منذ كنت في الجيش آخر مرة . نسيت حياة الجندية ، والسلاح ، والتدريب . أعصابي ارتخت في وظيفتي بين الكرسي والمكتب . طلبوني فجأة . جددوا تدريبي سريعا . خمسة أيام فقط ، وجئت الى سيناء .

قال العريف :

ـ اسكت . أعرف هذا . لا تكلم نفسك بصوت مرتفع .

قال صلاح :

ـ انا لا أكلم نفسي .

ـ كفى ما نحن فيه .

« معك حق » . قال صلاح لنفسه . وواصل السير بجوار العريف .

كانت الشمس فوق الرؤوس تماما . ونظر صلاح الى ما تحت قدميه بدهشة : أين ظلي الآن . ساقاه بطولهما تلقيان ظلا وراءه لا يجاوز اكثر من شبر واحد . وهو يحس في هذه المسيرة الحزينة ، ان جسده كله قد اصبح الآن ساقين ، طالتا تحته ، وتقوستا ، وهما تقطعان الطريق بلا نظام . رائحة البحر ، وأصوات الموج ، اختفت كلها من حواسه غابت بعيدا وراءه . لم تعد سوى رائحة الرمال ، والذرات الصغيرة المتطايرة وأصوات الموتورات ، والاقدام ، والفرامل ، والاطارات التي تنفجر بين لحظة واخرى . طويلة هي القافلة العائدة الى الوطن . يغير اطار السيارة بآخر ، والقافلة لم يأت آخرها بعد . ذلك أفضل على أي حال .

من بعيد ، لاحت طائرة مقبلة من الشمال . ارتفعت نحوها الاكف ، وتحتها حدقت العيون . ربما تكون هذه الطائرة لنا . حدث صلاح نفسه : مقاتلة ؟ قاذفة ؟ الاثنتان معا . اذا كانت للعدو فمن الحماقة ان تهاجم الرجال ، وهي وحيدة في السماء .

ـ صاح صوت بعيد :

ـ ميراج .. انبطحوا أرضا .

فيما كانت الطائرة تدور وتنقض في سرعة بالغة ، كان الرجال يقفزون من السيارات ، يعدون بعيدا عن الطريق ، وينبطحون في جوانب الهضاب ، وخلف الصخور ، ووسط الرمال . ووجد صلاح نفسه منبطحا وراء صخرة بالقرب من العريف . رأى الطائرة تدور عاليا ثم تنقض ثانية مقبلة نحوه . حدث نفسه انها تستكشف ما مع القافلة من آلات . الآلات وحدها هي التي يخافونها. بدون الآلات يصبح الرجال في رأيهم مجرد أيدي لا خطر منها . ومض في رأسه خاطر خاطف . بوسعه ان يصيبها من مكانه . يجعلها تشتعل وهي تبتعد . قد لا تصل الى عشها ابدا بسبب ذلك . مد يده ليسحب بندقيته من كتفه . لم يجدها . لا يكاد يصدق نفسه ، الكتف الآخر خالية ايضا . أين أضاع بندقيته ؟. الآن . لا أهمية ايضا لضياع البندقية . فقدها في مسيرة العودة . عسكريا في مثل هذه الظروف ، يمكن أن يحدث ذلك . لكن هو : كيف يترك سلاحه خلفه ؟ جلس وحدق في كل الرجال من حوله . الذين ما يزالون منبطحين ، والذين يجلسون مثله يرقبون ما حدث ، والذين يعودون مسرعين الى السيارات الواقفة في انتظارهم . كلهم معهم أسلحتهم الخاصة بهم كأفراد . تذكر : حين انحنى ، ورفع كيس مهماته ، كان قد أسند سلاحه الى الارض . وحين أدخل الذراع الاخرى في حزام الكيس الآخر ، كان قد نسي سلاحه تماما . ظنه أيضا على كتفه ، ولم ينبهه احد الى ذلك . فكر ان تركه لسلاحه سيكون بين كل الجنود شاهدا على خوفه البالغ . فكر ان طائرة اخرى أو طائرات عديدة ، ستأتي ، وستنقض على الرجال ، وتفتح عليهم مدافعها الرشاشة ، سيكون بوسع الكل ان يرد ويقاوم ويضرب . ان يحارب . ويظل هو متفرجا ، في حمايتهم . شيء مخجل جدا وللغاية . كيف يمكن ان يحدث ذلك . فكر ان الوقت لم يفته بعد ، ان بوسعه ، ان يرجع عدوا ، مهتديا بآثار العجلات ، ويعود ليلحق بهذه القافلة ، ومعه سلاحه. لم يمض على سيرهم اكثر من نصف ساعة فقط ، والسيارات تسير على مهل ، بسرعة المشاة على اقدامهم ، وحتى لو تخلف عنهم ، فسوف يلحق بهم في الليل ، حين يضطرون الى الراحة . قال العريف وهو يقف :

ـ انهض . هيا بنا .

قال صلاح وهو ينهض :

ـ لقد نسيت بندقيتي .

التفت العريف اليه وهو يبدأ في السير ، قائلا :

ـ كيف ؟ هيه .. ليس ذلك مهما الآن .

وأضاف :

ـ لكن . أسرع . ينبغي أن نكون مع فصيلتنا .

قال صلاح ، وهما يهبطان الهضبة الى الطريق :

ـ فأل سيىء .

قال العريف :

ـ كل شيء اليوم ، وأمس ايضا ، ليس طيبا .

وأضاف ساخطا :

ـ فقدنا ما هو أهم من بندقيتك . هناك . وهنا ، وفي كل مكان .

وقال مواسيا :

ـ لا تفكر في هذا الآن . لن تعاقب لذلك . اني اضمن لك هذا . أسرع قليلا في السير .

قال صلاح :

ـ طائرتهم التي مرت فوقنا ، فأل سيىء أيضا .

التفت العريف نحوه . قال بقلق :

ـ كيف ؟

ـ أحس أنها ستكون مقدمة لطائرات اخرى ، سيبعثون بها الينا ، ويقذفوننا .

قال العريف بحدة :

ـ اسكت . كلامك هذا هو الفأل السيىء . الفأل السيىء بعينه .

وتنهد . قال بعد لحظة مهدئا من خوفهما معا :

ـ لماذا يأتون ويضيعون قذائفهم

قال صلاح :

ـ بسبب هذه السيارات . يهمهم بلا شك ان نعود على أقدامنا دون راحة ما . ذلك سيخيفنا ، ويضعف من روحنا .

قال العريف بحدة :

ـ اسكت . تذكر خيرا .

وعاد يتنهد . ثم أضاف :

ـ انها الحرب يا دفعه . ننسحب اليوم لنهجم غدا. يهجمون اليوم وينسحبون غدا .

فكر صلاح . العقل يقول ذلك . لكن القلب ..؟ خطأ ما قد حدث وانتهى بالرجال الى هذه النتيجة . ربما كانت هناك اخطاء عديدة صنعت هذه المسيرة الحزينة . ما الذي حدث وراءك للرجال أيتها الهضاب . الاسنان اللبنية هشة لا تعيش طويلا . سرعان ما تسقط الاسنان اللبنية . غالبا تسقط وحدها . اكثرها يحدث له ذلك . مكانها تنبت أسنان اخرى اصلب واقوى تعيش العمر كله. لا تسقط ابدا الا بكسرها او نزعها . العقل يقول ذلك ايضا ، لكن القلب ..؟ حين كنت صغيرا ، رحت أنتظر أن تنبت أسناني الجديدة . أيام طويلة مرت كلها ساعات ودقائق . حسبت أنها لن تنبت أبدا . خيل الي في كل لحظة انني سأظل مثل جدي ، دون اسنان امامية . لكن أسناني نمت يوما ، واصطفت بجوار بعضها ، تقضم ما

يؤكل ، وتلفظ ما لا يهضم . الآن ، أنتم ايها الرجال بلا أسنان . آلاتنا سقطت وحدها ، تركناها وراءنا تحترق على الساحل . لكنكم ايها الرجال ، وانت يا عريفي ، تمسكون بالبنادق . كل الاسنان لم تسقط تماما . لكم مخالب ما تزال في الايدي . بندقيتي انا كانت المخلب ، والاسنان الباقية . عايدة . يا حبيبتي . لو رأتني بلا أسنان غالبا ستفسخ خطبتنا . لن أدعك تعلمين أبدا انني نسيت سلاحي خلفي . بسبب ذلك ، ايتها الحبيبة ، قد لا أعود لك أبدا . حامية هي الشمس فوق الرؤوس . شمس يونيو الصحراوية . يجف جسدي من العرق ، واشعر بالدوار . الملح والماء وساعة من الراحة في ظل عربة ، ثم اعود الى الموقع على الساحل لآتي بسلاحي . قال العريف :

ـ هيا بنا نصعد العربة . حان دورنا لنستريح من السير قليلا .

نزل رجال من السيارة ، وصعد آخرون . معهم صعد صلاح والعريف . على حاجزها ، بجوار صندوق السائق في المقدمة جلس واتكأ . أخرج منديله الابيض الحريري وشده حول رأسه فوق البيريه . يعكس حرارة الشمس الآن ، ولكنه مع ذلك يلتهب ككل شيء آخر . من مكانه شاهد أفقا أرحب وأكثر حزنا لقافلة الرجال ، في المسيرة الحزينة . خلف السيارات ، وعلى جانبيها ، يسير الكثيرون . حين جاءوا لم يكن واحد منا يسير على قدميه . من يكتب ذلك كله يا صلاح ؟ يتركه حكاية تروى . درسا لا ينبغي أن ينسى او يتكرر . ما اسم ذلك الذي يحدث : نكسة ؟ هزيمة ؟ انسحاب ؟ ما الذي يحدث هنا وفي بلدي ؟ انسان مكتوف الايدي يضرب فجأة بهراوة على أم رأسه . أم انسان يتعارك فعلا وصرعه خصمه . أي الرجلين نحن . لكننا لم نحارب أو حتى نتعارك هذه المرة . بيرل هاربور أخرى تتكرر ، ويتبدد من ورائها وأمامها كل شيء . لا أمل في الحاضر سوى الغد . لا شيء يعمل الآن سوى ان نفكر ، ونحلم . صبرا أيها الرجال . لا تفرقوا هكذا في الحزن . لم لا تغنون الآن كما كنا نغني ونحن قادمون الى هنا ؟ الى الشرق جئنا ، وجنوبا انحدرنا ، وعلى شفاهنا كانت أغنية : متى نحارب يا سيدي القائد متى نحارب ؟ متى نحارب يا سيدي القائد ؟ من يبدأ أولا يكسب نصف المعركة . من يصمد يكسب النصف الباقي . بذلك غنينا يا رجال . أولاد بحري وأولاد قبلي غنوا ذلك . كل بلهجته كان ينشد يا ابناء بلدي . غاضبون هم قومنا الآن وحزانى . لكن . اسمعوا يا رجال . اسمعوا يا قومنا : عودا سنعود ابدا الى هذه الصحراء . غدا وبعد والى الابد . العقل يقول ايضا : لو هزمونا عشرين مرة ، لن ينالوا منا ابدا . ألف عام وعام من الاحتلال لم تنل من ديارنا . عشرات الغزاة ، جاءوا وانحسروا في الصباح مع حركة الجزر . لو هزمناهم نحن مرة واحدة . كان ذلك نهاية كل شيء . أغراب مقيمون بقوة السلاح . جردهم من سلاحهم . فماذا تكون النتيجة ؟ لا شيء سوى الرحيل . تلك هي الهزيمة بعينها . العقل يقول ذلك يا رجال . لكن القلب الآن في محنته لا يستطيع ان يرى . البطن الجائع أقرب الى اليأس منه الى الامل . بودي لو أخطب فيكم ايها الناس لاقول لكم ذلك ، حتى ونحن في هذه المسيرة التي لا أجد لها اسما . لكن ، من له أية رغبة الآن ليقول شيئا . أية كلمة ستصبح ضجة هستيرية . لغة غريبة لا تجد من يفهمها . قال العريف :

ـ اللعنة على هذه الايام . كأنني أعيش في كابوس ، لا أعرف كيف اخرج منه . لا يخيفني الموت ، ولست الآن بعدما حدث حريصا على الحياة . لكن ما يرعبني انني لم أعد أفهم شيئا . حائر انا ايها الشاب . في الجامعة تعلمت يا دفعة . لذلك احدثك بما في قلبي . لا أفهم شيئا مما يحدث . كانت الحياة واضحة امامي . الابيض أبيض ، والاسود أسود . الآن اختلط البياض بالسواد ، لم أعد أعرف أين السواد من البياض . لا . انني أعرف . كل شيء الآن أسود . لكن انظر . ها هو نور النهار أبيض قادح . لا ، بل أصفر ، كوجه المرض والموت .

***

من بعيد ، سمعوا أصواتها . أزيزا يملأ الافق . يسبقها قادما من الشمال . ورأت الاكف العيون التي راحت تحدق . لم يبن شيء بعد ، لكن العريف صاح :

ـ سرب كامل من الطائرات . سربان . ثلاثة .

وقال العريف وهو يقفز لصلاح :

ـ اسرع . ابتعد عن السيارات . انهم قادمون

بعد النجاح العظيم الذي لقيه قاموس « المورد » تفخر دار العلم للملايين بأن تقدم الى الطلاب ومدرسي اللغة الانكليزية في المدارس الابتدائية والتكميلية :

المورد القريب

قاموس جيب إنكليزي - عربي

تأليف

منير البعلبكي

٤٦٤ صفحة ٣ ليرات فقط

لضربها هي بالذات .

وقفز صلاح على اثره . وعدوا راكعين . صعدا هضبة وانحدرا . وانبطحا ، وتدحرجا قليلا . ثم توقفا . فكر صلاح انه الآن في مأمن مع العريف . فكر انهم جاءوا لضرب العربات ، وسيارات نقل البترول . لاحت الطائرات . سرب كامل من أربع تشكيلات مثلثة . التمعت الطائرات الفضية في ضوء الشمس ، ودارت دورة ثم هبطت وراحت التشكيلات تتفرق . نصفها راح يقصف السيارات الخالية من الرجال . النصف الآخر فتح رشاشاته على الجانبين فوق الهضاب . اخفى العريف راسه . ثم رفعه حين مرت الطائرة من فوقه ، دون ان يصيبه رصاصها . فتح نيران بندقيته على الطائرة المنخفضة واطلق دفعة واحدة . التمعت عيناه الصقريتان، وصرخ راضيا :

ـ لقد اصبتها .

واسرع يخفض راسه ، حين اقتربت منه طائرة أخرى . فكر صلاح في بندقيته لو كانت معه الآن لاصاب طائرة من مكانه . لا يمكن ان يظل بلا سلاح هكذا . منحدرات الهضاب تمتلىء بدخان البارود والغبار وصراخ من أصيبوا ، وصيحات من فازوا . فكر ان عليه الآن ان يذهب ويعود سريعا ببندقيته . حين مرت الطائرة مبتعدة اكمل تدحرجه الى سفح الهضبة ، وهب واقفا ، وراح يعدو راكعا صوب الشمال الشرقي . رآه العريف بين مئات الرجال الراقدين ، والذين يعدون راكعين الى مواقع افضل بين الصخور . ناداه بملء صوته ان يعود . لكنه لم يلتفت خلفه . ربما لم يسمعه ايضا. صرخ العريف محذرا ، حين رأى طائرة تنقض على الوادي الذي يعدو فيه صلاح ، قادمة من ورائه . رقد كل الرجال متباعدين الا هو . ظل يعدو راكعا . ثم . انتهى كل شيء . خرء تختلج الآن في جسد صلاح. وصوب العريف بندقيته تختلج الآن في جسد صلاح . وصوب العريف بندقيته نحو الطائرة المولية ، وراح يطلق عبثا . قال شاب كان يرقد قريبا من العريف . قال بأسى :

ـ الخوف أطار صوابه . فعدا هاربا .

ـ كل أسى العريف صار غضبا .

أجاب العريف مؤكدا :

ـ لا . أنا أعرف الحقيقة . لقد ذهب ليعود بسلاحه . نسى في غضبه أنه ستكون هنا ، على هذه الهضاب ، بنادق كثيرة ، بحاجة الى يديه .

ـ وامتلأت عينا العريف الخفيتان ، بطيفه : شاب أسمر ، مثلث الوجه ، أكرد الشعر ، عيناه بريئتان واسعتان ، مليئتان بدموع حبيسة . نحيف كقصبة . وكان ، كما رآه اول مرة ، يرتدي بنطلونا ، وقميصا حريريا نصف كم ، تضحك أسنانه وعيناه .

القاهرة

سليمان فياض

دار الآداب تقدم

قصة المقاومة الفيتنامية

كما يرويها أبطالها

يعتبر نضال الشعب الفيتنامي لتحرير ارضه من اطول ما عرف التاريخ الحديث من مقاومة وصمود. وهذا الكتاب الهام الذي نقدمه للقراء العرب ، في هذه الفترة التي تحتشد فيها الطاقات العربية كلها لمقاومة العدوان الصهيوني وتحرير الارض العربية في فلسطين ، يحمل مثالا وعبرة وفائدة عظيمة ، لا سيما وان مؤلفيه هم انفسهم من ابطال المقاومة الفيتنامية على رأسهم الجنرال فو نيغوين جياب قائد المقاومة الفيتنامية سابقا ووزير الدفاع في فيتنام حاليا . والمؤلفون يروون باسلوب شيق طريف ذكريات اعمالهم السياسية والحربية في سايغون وهانوي واعوام الاسر والسجن والتعذيب ، والاحتلال الياباني وقيام حروب العصابات في حقول الارز والغابات الكثيفة ، حتى تعبئة الشعب كله في ربيع عام ١٩٤٥ وانشاء جمهورية فيتنام الديمقراطية في هانوي .

وخلال هذه القصة يبرز وجه مدهش عجيب : هو وجه ذلك المناضل الشاب ، والمثقف الانساني ، والثائر الذي لا يلين : « العم هو » الذي سيصبح فيما بعد الرئيس هو شي منه ...

والفصل الاخير في الكتاب يتحدث عن المقاومة البطولية الرائعة التي ما يزال شعب الفيتنام يخوضها بقيادة جبهة التحرير الوطنية حتى ايامنا هذه ضد الاحتلال الاميركي وعملائه في فيتنام الجنوبية .

الثمن ٣٠٠ ق. ل

صدر حديثا